

DOI: 10.54240/2318-013-002-021

مراكز «التجميع السكاني» الفرنسية في الجزائر خلال الثورة التحريرية (1954- 1962) وآثارها على السكان: ريف منطقة الشلف نموذجا.

French “population grouping” centers in Algeria during the liberation revolution (1954-1962) and their effects on the population: the countryside of the Chlef region as a model.

اسم ولقب المؤلف المرسل: عبد القادر بوتشيشة- Boutchicha Abdelkader ص 381- 401
الدرجة والعنوان المهني: أستاذ محاضر «أ»- تاريخ حديث ومعاصر- جامعة حسيبة بن بوعلي-
الجزائر/ البريد الإلكتروني: a.boutchicha@univ-chlef.dz

تاريخ استقبال المقال: 2023-06-09... تاريخ المراجعة: 2023-07-10... تاريخ القبول: 2023-09-09

الملخص: خلال حرب الاستقلال الجزائرية (1954-1962)، قامت السلطات الاستعمارية الفرنسية بعمليات واسعة لتهجير سكان الأرياف من قراهم إلى مراكز جديدة. عرفت هذه السياسة باسم «إعادة تجميع السكان».

مست العملية أكثر من مليوني جزائري حشروا في حوالي ألفي معسكر (محتشد). سعت السلطات الاستعمارية من خلال ذلك إلى حرمان جبهة التحرير الوطني من كل الدعم اللوجستي والسياسي، ومراقبة السكان المشتبه في دعمهم للثوار.

كان يُنظر إلى عمليات «إعادة تجميع السكان» هذه - التي نفذها الجيش الفرنسي بشكل أساسي- على أنها جزء من «الحرب الثورية المضادة» التي شُنت ضد جبهة التحرير الوطني. ومع تقدم الحرب، قدمت السلطات الاستعمارية «التجمعات» على أنها وسيلة لتطوير الريف الجزائري من خلال إنشاء «قرى جديدة».

سوف نركز في هذا البحث على المحتشدات التي أقيمت في منطقة الشلف، وهي منطقة ذات أهمية كبيرة في فهم تاريخ هذه الظاهرة؛ لأن المنطقة كانت من أكثر المناطق التي عرفت الظاهرة وعانت منها.

ترتب على «إعادة تجميع السكان» الكثير من الاضطرابات البيئية والاقتصادية والاجتماعية التي من الضروري أخذها في الاعتبار من أجل القياس المناسب لطبيعة ومدى ونطاق عنف السلطات الاستعمارية تجاه سكان الأرياف الجزائرية. جرى كل ذلك تحت ما سمي بـ«التهدئة» .
الكلمات المفتاحية: المحتشدات، مراكز إعادة التجميع، التهجير القسري، الترحيل، إعادة التوطين، التهدئة، جبهة التحرير الوطني، الجيش الفرنسي، أورليونفيل، الشلف.

Abstract: During the Algerian War of Independence (1954-1962), the French colonial authorities carried out extensive operations to move the Algerian rural population from their original villages to new centers named «Camps Regrouping Centers». Mainly implemented by the French army, this «policy» of the regroupings was conceived as part of the «counter-insurgency war» waged against the National Liberation Front (FLN). As the war progressed, colonial authorities came to present groupings as a means of transforming the rural world by creating “new villages”.

We will base ourselves here on the case of the consolidation camps set up in the region of Chélif, because it was one of the regions that experienced the phenomenon and suffered the most.

Environmental, economic and social upheavals must be taken into account in order to properly measure the nature, extent and scope of this violence by colonial authorities towards the rural population, under the mythology of “pacification”.

Keywords: Camps Regrouping Centers; Forced displacement; Pacification; National Liberation Front; Resettlement; deportation; camps; French army; Orléansville; Chlef.

المقدمة: في الفترة من 1954 إلى 1962م، وفي خضم حرب التحرير، عمد الجيش والإدارة الفرنسيان إلى ما أسماه «إعادة تجميع» أكثر من مليوني جزائري في حوالي ألفي معسكر (محتشد)؛ فكان لهذه السياسة تداعيات وآثار خطيرة على السكان.

سعت السلطات الاستعمارية من خلال ذلك إلى حرمان جبهة التحرير الوطني من كل الدعم اللوجستي والسياسي، ومراقبة السكان المشتبه في دعمهم للثوار. فأدى هذا إلى عزل السكان عن أراضيهم ومصادر أرزاقهم، وأصبحوا يعتمدون على الإعانات الحكومية وعلى تبرعات جمعيات الإغاثة.

أراد بعض المسؤولين الفرنسيين تقديم سياسة الترحيل أو التهجير القسري للمدنيين-الأصخم في القرن العشرين- كأداة لتحديث وتطوير الريف في الجزائر وحماية السكان من «إرهاب المتمردين والفلaque» كما أسمتهم. فما حقيقة مراكز التجميع هذه؟ وما هي الأهداف

المعلنة والحقيقية التي أنشئت لأجلها؟ كيف سوقتها السلطات الاستعمارية للرأي العام الفرنسي؟ وما هي انعكاساتها على سكان الأرياف الجزائرية عموما وعلى ريف منطقة الشلف خصوصا؟

ذلك ما سنحاول معالجته في هذه الورقة البحثية بالاعتماد على المصادر الفرنسية وعلى الشهادات الحية للذين عايشوا أحداث الثورة التحريرية وكانوا نزلاء هذه المراكز.

2- المحتشدات ماهيتها، أسبابها وأهداف إنشائها.

2.1 المحتشدات: تباين المسميات: إن عملية ترحيل سكان الأرياف وإعادة تجميعهم في أماكن معينة، التي قامت بها السلطات الفرنسية خلال حرب التحرير الجزائرية؛ تعتبر ظاهرة فريدة واستثنائية وسابقة في التاريخ المعاصر. اكتست هذه العملية خصوصيتها واستثنائيتها من أسبابها ومبرراتها وأهدافها وظروفها وتوقيتها والفئة التي استهدفتها ونتائجها.

في البداية أطلقت السلطات الاستعمارية على العملية «انسحاب» (repliement)، وتعلق الامر بأولى عمليات الترحيل القسري التي قام بها الجيش الفرنسي في منطقة الأوراس. بعد ذلك استعملت مفردة (le regroupement) «إعادة التجميع»، وسميت المواقع التي تم فيها تجميع سكان الأرياف بـ«مراكز إعادة التجميع» (les centres de regroupement). وكانت هذه التسمية رسمية ومتداولة في الدوائر الحكومية (المدنية والعسكرية)¹. لم تكن هذه المراكز تتميز كثيرا عن مراكز الاحتجاز (les centres de détention) التي كانت تشبه الى حد ما السجون المؤقتة والتي كانت تضم المناضلين في صفوف جبهة التحرير المناوئين لها، والتي تشك في قيامهم بنشاطات معادية. وكان غالبية نزلاء هذه المعتقلات من الرجال، وقلة من النساء والأطفال. بينما ضمت «مراكز إعادة التجميع» عائلات وأسر وقرى بأكملها.

ظلت هذه التسمية سائدة على الأقل في الدوائر الحكومية كما أسلفت حتى سنة 1959. فبعد الضجة التي أثارها صحافة المتروبول حول أوضاع الجزائريين في المحتشدات، أُطلق على عمليات تجميع سكان الأرياف مصطلح «إعادة التوطين» (le recasement) وأطلق على

1 - Fabien Sacriste, (2012, février 15), Surveiller et moderniser. Les camps de Regroupement » de ruraux pendant la guerre d'indépendance algérienne, Récupéré sur Métropolitiques. Consulté le: 26/01/2023 :

<http://www.metropolitiques.eu/Surveiller-et-moderniser-Les-camps.html>.

المحتشدات (مراكز التجميع) والتي أُعيد تهيئتها تحت مسمى «القرى الجديدة» (Nouveaux villages)¹. وهي نفس التسمية التي أطلقها عليها الجيش الفرنسي (أي «القرى الجديدة») في سياق رده على منتقديه، زاعما أنه يعمل على ترقية سكان الأرياف اقتصاديًا واجتماعيًا. وكانت هذه الاستراتيجية الخطابية ناجحة إلى حد ما؛ فضلًا عن منح شرعية جديدة للجيش -لا تخلو من المفارقات- لتكثيف «إعادة التجميع» باسم التنمية الاقتصادية والاجتماعية، ففرض هذا الخطاب على الساحة العامة صورة «القرية» (le village) بدل «المعسكر» (le camp). وهكذا فإن الدوائر الرسمية تحاشت استعمال لفظ معسكر (camp) تفاديا لأي التباس يقع بمقارنتها بمخيمات اللجوء أو معسكرات الاعتقال النازية التي عُرفت خلال الحرب العالمية الثانية، والتي كانت لا تزال حاضرة في كل النقاشات التي تدور حول الحرب². لكن المفكر الفرنسي ألبير كامي (Albert Camus) سماها معسكرات اعتقال (Camps de concentration)³.

هذا بالنسبة للتسمية الرسمية لهذه المحتشدات، أما صحافة المتروبول خلال الثورة فكانت تطلق عليها مصطلح «معسكرات» (les camps) منتقدة بشدة سياسة التجميع التي قام بها الجيش الفرنسي خلال حرب التحرير. والمعسكرات هي التسمية التي دأب على استعمالها معظم المؤرخون والكتاب الفرنسيون وغيرهم في كتاباتهم عن الموضوع. ولا يزال الجدل قائما حول مفهوم هذه المحتشدات وحقيقتها والمصطلح الذي يعبر فعلا عن حقيقتها. وخلاصة القول أنه تعددت التسميات التي استعملت للتعبير عن الظاهرة: كالمعسكر أو المخيم (camp)، ومعسكرات الاعتقال (camps de concentration) و«إعادة التجميع» (regroupement)، و«إعادة التوطين» (recasement)⁴. وتبقى كلمة معسكر (camp) التي

1 - Jean-Charles Jauffret, M. V. (2001). Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie. Paris: Éditions complexe.

2 - Sacriste, op. cit.

3 - Cornaton, M., les camps de regroupement de la guerre d'Algérie, Paris, L'Harmattan, 1998, P12 .

4 - ENS de Lyon. (2006, 21 juin). (2006, juin 21). 60 - Bilans sur les camps de regroupement de la guerre de 1954-1962. Récupéré sur Canal-u.tv. Consulté le : 15/10/2022: <https://www.canal-u.tv/chaines/ens-de-lyon/pour-une-histoire-critique-et-citoyenne-le-cas-de-l-histoire-franco-61>

ينطقها السكان «الكا» هي الكلمة التي رسخت في الذاكرة الشعبية لمن عاشوا في تلك المحتشدات، وذاقوا ويلاتها ردحا من الزمن.

2.2. تصنيف عملية إعادة تجميع سكان الأرياف: إن عمليات تجميع سكان الأرياف استدعت ترحيل السكان ونقلهم إلى أماكن إقامة جديدة. وكانت أوضاعهم في مراكزهم الجديدة تشبه أوضاع اللاجئين، ومع ذلك لم يصنف السكان الذين طالتهم هذه العملية كلاجئين، لأن اللاجئ: «هو الشخص الذي يفر من النزاع المسلح أو الاضطهاد... وغالبا ما يكون اللاجئون في مواقف خطيرة للغاية، ويعيشون في بيئات لا تطاق، مما يضطرهم لعبور الحدود بحثاً عن الأمان في البلدان المجاورة»¹. ولم يكن الحال كذلك بالنسبة لسكان الأرياف في الجزائر فلا هم نزحوا خارج الحدود ولا هم استفادوا من الحماية التي يوفرها القانون الدولي الخاص بحقوق اللاجئين.

كما أنه لا يمكن اعتبارهم نازحين لأن النازحون حسب تعريف مختلف المؤسسات الدولية هم: «مجموعة من الأشخاص فروا من مناطق سكنهم بسبب النزاعات والصراعات، ولكنهم لم يتجاوزوا الحدود الدولية»². فحسب هذا التعريف نلاحظ أن قرار النزوح أو الانتقال اتخذته الأشخاص النازحون أنفسهم، ولم يكن الأمر كذلك بالنسبة لسكان الأرياف في الجزائر الذين «أعيد تجميعهم» قسرا.

وإذا لم نعتبر سكان الأرياف الذين تعرضوا لعمليات «إعادة التجميع»- التي قام بها الجيش الفرنسي في الجزائر- لاجئين ولا نازحين؛ فإنه يمكن اعتبارهم مهجرين قسرا، لأن تنقلهم لم يكن طوعيا ولا بمحض إرادتهم، ولكنهم أجبروا مكرهين على مغادرة مساكنهم إلى أماكن جديدة حددها الجيش الفرنسي.

وتجدر الإشارة إلى أنه لم يكن- آنذاك- القانون الدولي لحقوق الإنسان يحتوي على إجراءات محددة بشأن الترحيل القسري، الذي يُفهم على أنه أي حركة قسرية للأشخاص خارج منطقة إقامتهم المعتادة. لكنه في تسعينيات القرن العشرين، بدأت الأمم المتحدة بدراسة

1- لينا الصمادي. (27 فبراير، 2021). الفرق بين اللاجئ والنازح والمهاجر في القانون الدولي. تم الاسترداد من إي عربي:

<https://e3arabi.com/law/الفرق-بين-اللاجئ-والنازح-والمهاجر/> تاريخ المعاينة: 3 ديسمبر 2022.

2- ويزة بونصيار، حماية النازح الداخلي على مستوى القانون الدولي الإنساني، المجلة الجزائرية للأمن الإنساني، المجلد 7، العدد 1، 2022، 213-

الفجوات القانونية والمؤسسية التي تؤثر على الأشخاص النازحين داخلياً الذين لم يعبروا الحدود الدولية المعترف بها فلم يصبحوا لاجئين. وهكذا فإن سكان الأرياف الذين تعرضوا لعملية ترحيل قسري داخلي لم تنطبق عليهم اتفاقية اللاجئين لعام 1951¹.

وبالرغم من أنه لم يتم الاتفاق على تعريف مفهوم «الترحيل القسري» ولكن يوجد ما يمكن أن يحدد الظاهرة ويفرزها عن بقية أشكال تنقل السكان أو تزوحهم. فقد وضعت روبرتا كوهين (Roberta Cohen)² ثلاث معايير لتحديد ظاهرة الترحيل القسري وهي: (1) إجبار الناس بالإكراه على مغادرة أماكن إقامتهم؛ (2) انتهاك حقوق الانسان الذي يصاحب العملية أو يترتب عليها؛ (3) غياب الحماية³.

وبالنظر إلى واقع الحال وإلى المعايير الواردة أعلاه فإن عمليات «إعادة التجميع» التي قام بها الجيش الفرنسي في حق سكان الأرياف في الجزائر يمكن اعتبارها عمليات ترحيل قسري. وهي انتهاك صارخ لحقوق الانسان والذي ينص - من جملة ما ينص عليه - على حرية اختيار الانسان لمكان إقامته،⁴ ناهيك عن انتهاكات أخرى تجلت في ظروف الإقامة داخل المحتشدات.

1- روبرتا كوهين. (October, 2022 27). الدروس المستفادة من بناء المبادئ التوجيهية للزوج الداخلي. تم الاسترداد من نشرة الهجرة القسرية: <https://www.fmreview.org/ar/crisis/cohen> تاريخ المعاينة: 13 مارس 2023.

2- روبرتا كوهين: باحثة حقوقية أمريكية من مواليد سنة 1940، متخصصة في حقوق الإنسان والفضايا الإنسانية وقضايا اللاجئين. لمزيد عن سيرتها الذاتية أنظر:

<https://archives.lib.duke.edu/catalog/cohenroberta>

3- Munuma, J. M., Ledéplacement forcé de population comme nouvelle dimension de sécurité: rôle et responsabilités de l'OTAN, Rapport de recherche soumis à l'OTAN, Bruxelles, Août 2001, P 11.

4 - Ibid., p. 13.

2. 3. أسباب وأهداف أنشاء المحتشدات: ظلت الأرياف الجزائرية- بالإضافة إلى الصحراء- ولعقود عديدة، خارج نطاق اهتمامات السلطات الاستعمارية، ولم يتم تأطيرها. وجرى تركيز الاهتمام على المدن حيث كان التواجد الاستيطاني مكثفا، ولاعتبار الريف عامة لا يدخل في نطاق «الجزائر المفيدة» (l'Algérie utile) بالنسبة للمستعمر. ولم يتم الالتفات الى المناطق الريفية إلا في أواخر الفترة الاستعمارية¹.

ولا بد أن هذا الاهتمام المفاجئ له علاقة وصلة قوية بتلمل الشعب الجزائري وتزايد مظاهر رفضه للاستعمار، والذي تُوّج باندلاع الثورة التحريرية سنة 1954. فأولى المحتشدات أقيمت في منطقة الاوراس أواخر سنة 1954 وبداية 1955، حيث أجبر العسكريون الفرنسيون السكان على مغادرة قراهم «للافساح» إلى مناطق أكثر أمانا². ولذا فالسبب الرئيس لظهور «مراكز إعادة التجميع» هو اندلاع الثورة التحريرية التي أعتبرت في عقيدة الجيش الفرنسي «حربا ثورية» تتطلب استراتيجية شاملة. لأن «الحرب الثورية» تتلخص في أن الهدف السياسي الأول للتنظيم الثوري هو كسب الشعب إلى جانب القوات الثورية. فالشعب هو مفتاح الكفاح ككل، وبدون الموافقة والمساندة الشعبية لن تكون حركة الثوار أكثر من عصابة إجرامية، والأهم من ذلك أنها لن تستطيع أن تعمر طويلا. ولقد أدركت السلطات الاستعمارية هذا الامر منذ اليوم الأول للثورة: لذلك طورت استراتيجيتها لمواجهة الثوار في إطار ما أسمته «بالتهدة»، ومنها عزل الثوار عن السكان تطبيقا للمبدأ والشعار المعروف للزعيم الصيني «ماو تسي تونغ»: «المتنمر يعيش وسط السكان كالسمكة في الماء. إسحب الماء تموت السمكة»³.

إذن كان الهدف من إقامة المحتشدات هو حرمان جبهة التحرير الوطني وجيش التحرير الوطني من كل الدعم اللوجستي والسياسي الذي يقدمه السكان لما أسمتهم فرنسا

1- Claude Bataillon, «Populations rurales algériennes: encadrement socio-administratif et émigration», *Cybergeog: European Journal of Geography* [Online], Current issues, Les lieux de la guerre d'Algérie, Online since 27 June 2020, URL : <http://journals.openedition.org/cybergeog/25580>: consulter le : 18/09/2022.

2- Zytnicki, C. (2021, juin 28). Les Camps de «regroupement». Une histoire de l'État colonial et de la société rurale pendant la guerre d'indépendance algérienne (1954-1962). Récupéré sur cairn.info: <https://www.cairn.info/revue-outrre-mers-2015-1-page-257.htm?contenu=article> consulter le : 18/09/2022.

3 - Maurice Vaïsse, J.-C. J., Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, éditions complexe, Paris, 2001, p. 328.

بـ«المتمردين»، ومراقبة السكان المشتبه في دعمهم للثوار، وإجبارهم على إظهار طاعتهم للسلطة.

وقد تزامن إنشاء المحتشدات مع إنشاء ما عرف «بالمناطق المحرمة» حيث يحرم على السكان التواجد بها، ولم يكن الجيش الفرنسي يتسامح مع أي تواجد بشري بها. وقد صدرت الأوامر العسكرية الصارمة بإطلاق النار دون تردد على من يتواجد بالمنطقة المحرمة ولو بالخطأ¹.

أراد بعض المسؤولين الفرنسيين تقديم سياسة الترحيل القسري للمدنيين- الأضخم في القرن العشرين- كأداة لتحديث وتطوير الريف في الجزائر. كان ينتظر أن يسمح تجميع السكان بتركيز عمل الدولة وتسهيل الإصلاحات التي تهدف إلى التخفيف من التفاوتات الاجتماعية، بقصد استمالة سكان الريف لصالح الحكومة الفرنسية².

في الواقع أدى الإنشاء التعسفي وغير المخطط لهذه «القرى الجديدة» إلى تسريع تدمير المجتمع الجزائري الذي أُنْهَكَ بفعل قرن ونصف من الاستعمار الاستيطاني، وقد ترتب على سياسة إعادة التجميع آثارا وخيمة على مختلف جوانب الحياة الاجتماعية والاقتصادية وخاصة الميدان الزراعي، وما زالت آثاره محسوسة حتى يومنا هذا³.

1 - Ibid.

2 - Fabien Sacriste, « Surveiller et moderniser. Les camps de « regroupement » de ruraux pendant la guerre d'indépendance algérienne », Métro politiques, 15 février 2012.

URL : <http://www.metropolitiques.eu/Surveiller-et-moderniser-Les-camps.html>.

Consulter le : 18/09/2022.

3 - Lepoutre, N. (2022, avril 22). Les camps de regroupement en Algérie Une histoire des déplacements forcés (1954-1962).

Récupéré sur journals. Open édition : <https://journals.openedition.org/lectures/54824?lang=en> consulter le : 24/11/2022.

3. المحتشدات بمنطقة الشلف وأثر زلزال سبتمبر 1954 على سكانها:

3. 1. طبيعة المحتشدات: تتميز منطقة الشلف بتنوعها الجغرافي إذ نجد بها تقريبا مختلف أصناف التضاريس، من سهول وأودية وهضاب وجبال، بالإضافة إلى شريط ساحلي طويل. ولقد أدى تكثيف الاستيطان بسهول المنطقة -وخاصة بمحاذاة مجرى الوادي- إلى تراجع السكان وتمركزهم بالمحدرات الجبلية التي تمتد إلى الشمال وإلى الجنوب من الوادي، بعد أن سلبهم الاستيطان أراضيهم.

بلغ مجموع سكان عمالة الشلف- حسب إحصاء 31 أكتوبر 1954م- 633.630 نسمة مصنفين إلى مسلمين وعددهم 611.889 نسمة؛ وغير مسلمين، وهم المستوطنون الأوروبيون، وقدر عددهم بـ 21.741 نسمة. وبذلك بأن نسبة الكولون لا تتجاوز 3,5% من مجموع السكان في حين يشكل المسلمون ما يفوق 96%؛ منهم 565 ألف هم سكان الريف، أي ما نسبته 88% من مجموع سكان العمالة، وهي نسبة أعلى من نسبة سكان الأرياف في الجزائر آنذاك، والتي تصل إلى 75%¹.

كانت المحتشدات التي أقيمت بمنطقة الشلف من أسوأ المحتشدات التي أقامها الجيش الفرنسي بالجزائر. فحسب تقرير مسرب من ديوان الحاكم العام للجزائر السيد «دو لوفريي» (Delouvrier) نشرته جريدة «لوموند» (le Monde) بتاريخ 18 أبريل 1959 فإنه تواجهت بالمنطقة محتشدات سرية تديرها البلديات ولا علم للحكومة بها، وكانت أوضاع السكان المحتشدين سيئة للغاية ومنها ارتفاع معدلات الوفيات لدى الأطفال (بمعدل طفل كل يوم)، واقتراب السكان من حافة المجاعة².

أحيطت المحتشدات- التي أقيمت بمنطقة الشلف- بالأسلاك الشائكة، وكانت مجهزة بأبراج مراقبة أو أقيمت بالقرب من معسكر كان بها، ومعظمها أقيم في مناطق مكشوفة مما جعلها عرضة للرياح وغيرها من العوامل المناخية، مثل محتشد «أولاد حمدان» الذي أقيم على تلة مرتفعة تحيط بها الأودية والمنخفضات من كل جهة. ولم يكن يبعد كثيرا عن مركز التعذيب

1- عبد القادر بوتشيصة، تطور الاستيطان الزراعي في منطقة الشلف أواخر الفترة الاستعمارية (1950-1960) وأثره على الجزائريين، مجلة عصور

الجديدة، المجلد 9، العدد 2، سبتمبر، 2019، ص 210 - 227.

2 - Jauffret Jean-Charles, M. V, Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie, Editions complexe, Paris, 2001, pp. 335-336.

«بوفيس» (Beaufils) (خمس نخلات حاليا). وأُجبر السكان على بناء منازلهم بأيديهم أو بالتعاون فيما بينهم عن طريق ما يعرف «بالتوزيع» بمواد بسيطة (الجدران من قوالب الطين والأسقف من القصب والتبن بينما الدعامات من جذوع الأشجار ونبات الصبار)¹. (ينظر الملحق رقم 1).

كان الدخول إلى المحتشد والخروج منه لا يتم إلا بإذن من مسؤول المخيم الذي له السلطة التقديرية في السماح لبعض من سكان المحتشد بالخروج للذهاب إلى حقولهم وبساتينهم إذا كانت قريبة؛ ولو أن معظم المساكن والبساتين قد خربها الجيش الفرنسي حتى لا يستفيد منها الثوار².

كان سكان المحتشد يُجبرون على الخروج إلى ساحة رفع العلم الفرنسي كما يجبرون مرة في الأسبوع للاستماع لخطبة دعائية يلقيها أحد الضباط الفرنسيين في إطار الحرب النفسية القائمة على تشويه صورة الثوار وتمجيد فرنسا وجيشها. وخلال وقت التجميع يلجأ الجنود الفرنسيون إلى تفتيش البيوت فمن وجدوه متغيبا عن التجمع انهبوا عليه بالضرب³.

3. 2. زلزال الشلف وأثر إعادة الإعمار على عمليات إعادة التجميع: في 9 و 10 سبتمبر 1954، تسبب زلزال شديد ضرب المنطقة في دمار كبير مسّ مدنها وأريافها. إذ بلغت نسبة الدمار 80 %. وكانت الحصيلة فادحة: 1600 قتيل (منهم 66 أوروبيا)، و 5 آلاف جريح، و 65 ألف منزل مدمر بما في ذلك 25 ألف متضرر للغاية. وقد وقع الضرر الأكبر على الجزائريين (الأهالي) وخاصة سكان الأرياف لهشاشة مساكنهم، وارتفاع أعداد أفراد الأسرة الواحدة. وأصبح 60 ألف منهم بدون مأوى⁴.

وبعد أقل من شهر (9 أكتوبر 1954) صدر مرسوم حكومي بتشكيل لجنة- تابعة للحاكم العام- لإعادة بناء المدينة والمناطق المتضررة وفق قواعد البناء الحديثة والمقاومة للزلازل. نالت عاصمة العمالة نصيب الأسد من المبالغ المخصصة لإعادة الإعمار، وذلك بطبيعة الحال لأن جل المستوطنين يقطنون بها.

1 - معمر عبدون، الحياة داخل المحتشدات، مقابلة أجراها الباحث (عبد القادر بوتشيصة) معه بتاريخ: 15 أكتوبر 2022.

2- المصدر نفسه.

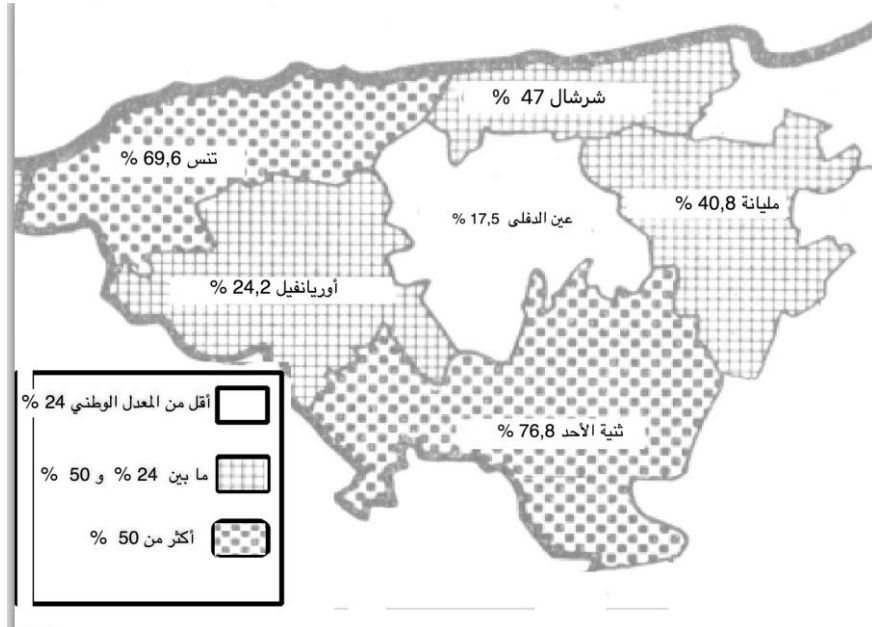
3- هني بوتشيصة (والد الباحث)، الحياة داخل المحتشدات، مقابلة أجراها الباحث (عبد القادر بوتشيصة) معه، بتاريخ: 7 فيفري، 2022.

4 - Malbos, J. (1955). Le séisme d'Orléansville. L'Astronomie, Vol. 69, p.66.

أما سكان الريف فقد بنيت لهم مساكن بسيطة جدرانها مكونة من قوالب الإسمنت ومغطاة بالقرميد، كان المسكن يتكون من غرفتين لها مدخل واحد لكل غرفة نافذة محصنة بسياج (شباك) من الإسمنت المسلح لا يمكن الولوج منه (ينظر الملحق رقم 2). وكانت هذه المساكن تعرف عند سكان المنطقة بـ«ديار المنكوبين».

استغلت الإدارة الاستعمارية هذه الكارثة الطبيعية وحاجة المنكوبين للسكن لتجميعهم في شبه قرى (مكونة من مساكن دون مرافق عمومية). ومن أمثلة مساكن المنكوبين التي أقيمت مجمعة نذكر بقعة سيدي زيان قرب تاجنة.

3. 3. كثافة الترحيل القسري في منطقة الشلف: إن المتأمل لخريطة توزيع مراكز إعادة التجميع في عمالة الشلف (أورليونفيل/Orléansville)، يلاحظ أن هناك تباين في كثافة المحتشدات بين دوائر العمالة؛ فأعلى نسبة للترحيل القسري نجده في دائرة ثنية الأحد بنسبة 76,8 %، تليها دائرة تنس بنسبة 69,6 %، ثم دائرة شرشال بنسبة 47 %، ثم دائرة مليانة بنسبة 40,8 %، ثم دائرة أورليونفيل بنسبة 24,2 %، وأخيرا دائرة عين الدفلى بنسبة 17,5 % (شكل رقم 1).



شكل رقم 1: نسبة السكان الذين حُشروا داخل المحتشدات في عمالة الشلف حسب إحصاء 1960 موزعة على دوائر العمالة.¹

كما أن هذا التوزيع مرتبط بالطبيعة الجغرافية للمنطقة؛ فالدوائر التي يغلب عليها الطابع الجبلي يرتفع فيها عدد المحتشدات وعمليات الترحيل القسري لأنها معاقل ومخابئ الثوار، توفر لهم الطبيعة الجبلية والغطاء النباتي الحماية من مراقبة الجيش الفرنسي الذي لجأ إلى إقامة المناطق المحرمة، وهي من دوافع النزوح والترحيل القسري.

إن نسبة الترحيل القسري في الدوائر ذات الطابع الجبلي (ثنية الأحد وتنس وشرشال ومليانة) تفوق المعدل الوطني لنسبة السكان المهجرين قسرا والذي هو 24 %. ولذا تعتبر منطقة الشلف (عمالة أورليونفيل) من أكثر المناطق التي تعرض فيها سكان الأرياف للترحيل القسري على مستوى الوطن.

كتب جيل جرانجوان (Gilles Grandjouan) (1932-2010)- وهو مهندس زراعي، كان يقوم بأداء خدمته العسكرية كضابط في عمالة أورليونفيل- تقريراً مفصلاً عن المحتشدات. استند جرانجوان في كتابة تقريره إلى تقرير جاك بونييكور² (Jacques Bugnicourt). يقول فيه أن إقامة «مراكز إعادة التجميع» كان لأغراض عسكرية، ثم جرى الحديث عن إنشاء «قرى جديدة» بغرض التنمية الاقتصادية. كما جاء فيه أن أعداد سكان الريف المهجرين قسراً قد ارتفع في غضون عامين من 100 ألف إلى 285 ألف، وهو ما يعادل 78% من أعداد السكان المشتتين- أي الذين هجروا «دواويرهم» و«مشتاتهم» (قراهم) لأسباب مختلفة، لكن لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بالحرب التحريرية- والبالغ تعدادهم 383 ألف. وهذا حسب الإحصائيات المقدمة من طرف السلطات الإدارية. ووصلت نسبة الترحيل إلى 100 % في ثلث بلديات العمالة. وأنه من بين 331 مركزاً تم إنشاؤها، نجد 193 مركزاً له صفة «المؤقت» وغير

¹ - Marcel Lesne. Une expérience de déplacement de population : les centres de regroupement en Algérie. In: *Annales de Géographie*, t. 71, n°388, 1962. pp. 567-603.

² - جاك بونييكور: (1930 - 2002). رجل سياسي اشتراكي ومهندس زراعي فرنسي، كلف بملف الإصلاح الزراعي وتهيئة الإقليم في عمالة أورليونفيل (الشلف) في الفترة من 1958 إلى 1961. كان من المعارضين للحرب في الجزائر. ينظر: https://fr.wikipedia.org/wiki/Jacques_Bugnicourt

المستدام. وهذا ما يؤكد أن هذه المحتشدات قد أُقيمت على عجل ودون تخطيط. ويضيف التقرير أن الأراضي الزراعية للسكان كانت تبعد أكثر من ثلاث كيلومترات¹.

4. الآثار المترتبة على عمليات الترحيل القسري بمنطقة الشلف:

1. 1. آثارها على اقتصاد سكان الريف: كان النشاط الاقتصادي الذي يمارسه سكان الأرياف هو الفلاحة ولا يحسنون غيرها فهم فلاحون بطبعهم؛ فإلى جانب الاشتغال بفلاحة الأرض؛ كان سكان الريف يقومون بتربية الحيوانات وخاصة الماعز والدواجن. وكانت الفلاحة هي مصدر قوتهم ودخلهم الوحيد. ولأن الدخول والخروج من المحتشدات كانت خاضعة لإجراءات صارمة بالإضافة إلى بعد حقول وأراضي الفلاحين عن المحتشدات كما أسلفنا؛ فإن الكثير منهم تعذر عليهم الوصول إلى أراضيهم ومساكنهم التي خربها الجيش ليحرم الثوار من استعمالها.

وحسب تقرير السيد «دو لوفري» المذكور أعلاه فإن 15 % من السكان المهجرين فقدوا كل وسائل معيشتهم، وكان يجب أن يتم تموينهم وإغاثتهم. وأنه وفي أعقاب العمليات العسكرية المعروفة بـ: «Constellation et Cigale» (عملية الكوكبة وعملية الصرصور)، أصبح 37 % من سكان الريف المهجرين تحت «كفالتنا» كما جاء في التقرير².

قدم السيد بونيكور- بصفته مقرر لجنة الاصلاح الزراعي بعمالة أورليونفيل- دراسة شاملة ومعقدة عن مزرعة ميشال التي تقع في ضواحي مدينة الشلف، حيث أنشئ أحد أسوأ المحتشدات التي عرفتها المنطقة والجزائر عامة.

كان تعداد السكان في هذا المحتشد (في أكتوبر 1959) يبلغ 293 نسمة منهم 250 «كُديسوا» في مباني مهالكة، جدرانها مسودة وأسقفها منهارة. ويذكر التقرير أنه وُجدت عشر عائلات مقيمة تحت عارضة سقف زربية، قسمت إلى حجرات يفصل بينها جدران مصنوعة من القصب وفروع الأشجار، كان ارتفاع هذه الجدران حوالي متر وسبعين سنتيمتر (1,70 سم). مما يجعل الخصوصية – وهي مسألة مقدسة لدى العائلة الجزائرية- منعدمة تماما³.

1 - Bataillon, op.cit.

2 - Vaisse, op. cit., p. 328.

3 - Cornaton, op. cit., p. 81.

ولإعطاء صورة عن تدهور الأوضاع الاقتصادية لسكان المحتشدات يورد المؤرخ ميشال كورناتو (Michel Cornaton) مخططا لممتلكات السكان المجمعين في محتشد مزرعة ميشال قبل وبعد عمليات التجميع؛ قمنا بتحويل المخطط إلى جدول لتسهيل استقراءه. (ينظر الملحق رقم 1).

بعد التجميع سنة 1959					قبل التجميع			
	نوع القطيع			عدد الرؤوس	نوع القطيع			
	الماعز	الأبقار الكلوب	البغال		الماعز	الأبقار الكلوب	البغال	
عدد الملاك ↓		08		1		12	16	عدد الملاك ↑
		01	شيء	2		23	شيء	
		لا شيء	شيء	3		04	شيء	
		لا شيء	شيء	4		02	01	
	21			15 - 1	15			
	شيء			30 - 15	23			
	شيء			45 - 30	13			
	شيء			60 - 45	02			

شكل رقم 2 (أ): ملكية القطيع في محتشد «مزرعة ميشال»¹

1- Ibid., p. 92.

	بعد التجميع سنة 1959			قبل التجميع		
	محاصيل سنوية	مراعي	المساحة (هك)	محاصيل سنوية	مراعي	
→ عدد الملاك	لا شيء	لا شيء	12,5 - 0	17	20	← عدد الملاك
	لا شيء	لا شيء	25 - 12,5	22	18	
	لا شيء	لا شيء	37,5 - 25	02	06	
	لا شيء	لا شيء	50 - 37,5	04	08	

شكل رقم 2 (ب): ملكية الأرض في محتشد «مزرعة ميشال»¹

بعد استقراءنا للجدولين خلصنا إلى الملاحظات والاستنتاجات التالية:

- إن النشاط السائد عند السكان الذين هُجروا من قراهم كان هو الزراعة وتربية الحيوانات وخاصة الماعز الذي تتلاءم تربيته مع الطبيعة الجبلية لريف منطقة الشلف.
- التباين والتفاوت بين الملاك سواء بالنسبة لعدد الرؤوس من الماشية أو بالنسبة لمساحة الأراضي؛ وهذا يدل على تفاوت درجة الغنى بين سكان المحتشد.
- في سنة 1959 (أي بعد التجميع) نلاحظ تناقص الثروة الحيوانية بشكل كبير تصل أحيانا كثيرة إلى العدم. فمثلا انخفض عدد الملاك الذين يملكون بقرتين من 23 إلى 1 (مالك واحد). بينما اختفت فئة الملاك التي كانت تملك 3 و4 رؤوس من البقر. وبالنسبة للماعز فقد اختفت فئة الملاك الذين كان بحوزتهم قطيع يتراوح بين 15 و60 رأس. وهذا ما يفسر ارتفاع عدد الملاك في الفئة الأولى أي أقل من 15 رأس من الماعز (من 11 مالك قبل التجميع إلى 24 مالك سنة 1959).

1- Ibid.

- غياب الأرقام في عمود الملكية العقارية لسنة 1959، فالجدول يبين أن نزلاء المحتشد فقدوا كل أراضيهم.

4. 2. آثارها على الصحة الجسدية والنفسية: إن الصدمة التي عانى منها سكان الأرياف في الجزائر خلال السنوات السبع من الحرب (1954-1962)، بسبب اجتثاثهم من أراضيهم وتغيير نمط معيشتهم؛ كانت لها نتائج وخيمة استمرت عبر الزمن. وكانت النية مبيتة، فالجيش الفرنسي كان يرى في عمليات إعادة التجميع وسيلة لتدمير المجتمع الريفي لكي تتم إعادة بنائه بشكل أفضل لصالح قوى «التهدئة»¹.

ومن المعروف أنه- في السابق- كانت البيوت في القرى والمداشر متباعدة إلى حد ما، مما يجعل العائلات تحافظ على خصوصيتها. وفجأة وجد هذا الريفي - الذي تعود على العيش في الفضاء الواسع - نفسه محشور هو وعائلته في خيمة أو بيت من القش لصيق بجاره. لدرجة كان فيها سكان المحتشدات يجدون صعوبة حتى في قضاء حاجتهم الطبيعية².

كان ساكنو هذه المحتشدات- وخاصة أرباب العائلات- يشعرون بالمرارة والإذلال وبأنهم مُسوا في كرامتهم خاصة كونهم أصبحوا في تبعية كاملة لضباط مكاتب الفرق الإدارية الخاصة (SAS) أو مسؤولي المحتشدات في كل شيء؛ في مأكليهم، ومشربهم، وملبسهم، وتمريضهم، وخروجهم من المحتشد أو دخولهم إليه. بعد أن فقدوا كل أسباب رزقهم باجتثاثهم من أراضيهم وفقدانهم لمواشيهم وحقولهم³.

وبالإضافة إلى ما عاناه سكان المحتشدات من آثار اقتصادية واجتماعية ونفسية (كالبلوس والفقر والتشرد والأمراض) جراء حجزهم داخلها؛ فإن ما يقارب 200 ألف

1 - Sacriste, op. cit.p. 2-3.

2 -Cornaton op. cit., p 83.

3 - Bataillon,op. cit.

جزائري-أغلبهم من الأطفال- لقوا حتفهم هناك، وأن هذه الوفيات كانت نتيجة مباشرة لتواجدهم في تلك «المعسكرات»¹.

لقد كان سكان المحتشدات في منطقة الشلف- كغيرهم من سكان المحتشدات في الجزائر كلها- محل صراع وشد وجذب بين جبهة التحرير والجيش الفرنسي في إطار الحرب الثورية². وطبعا كل طرف أستعمل كل وسائله وأساليبه ليكسبهم إلى صفه. وقد أجبرت الجيش الفرنسي البالغين على حمل السلاح وتشكيل مليشيات لمحاربة ما أسماهم «بالمتمردين» وأصبح هؤلاء في نظر الثوار خونة وعملاء³.

الخاتمة: استهدفت هذه الورقة البحثية ظاهرة المحتشدات في الجزائر عموما وفي منطقة الشلف خصوصا من حيث سياقها التاريخي ومبرراتها وطبيعتها وآثارها. وقد خلصت الدراسة إلى ما يلي:

تعدد التسميات التي تدل على عمليات الترحيل والإبعاد القسريين. فبعض المصادر تذكرها تحت تسمية التهجير القسري وأخرى النقل القسري ومصادر أخرى تصفها بالإبعاد. ولا زال الجدل حول مفهومها وطبيعتها قائما.

إن ما أطلقت عليه السلطات الاستعمارية الفرنسية تسمية إعادة التجميع هو في الحقيقة تهجيرا قسريا يندرج ضمن جرائم الحرب وجرائم الإبادة الجماعية والجرائم ضد الإنسانية.

بالرغم من المبررات التي سوقتها الإدارة الاستعمارية لتبرير تهجير سكان الأرياف إلا أن هدف إقامتها هو عزل الثورة عن السكان بغرض القضاء عليها.

1- Sacriste, op. cit.p. 5.

2 - Vaïsse, op. cit., p. 330.

3- Raphaëlle Branche, R. L. (2022, novembre 5). En guerre(s) pour l'Algérie. Récupéré sur Ina: <https://entretiens.ina.fr/guerres-algerie/Zineb-Boudjelal/zineb-boudjelal/transcription/3>

إن تستر السلطات الاستعمارية على وجود المحتشدات لقرابة أربع سنوات (من أوائل سنة 1955 إلى مارس 1959) يدل على بشاعة ما كانت تخفيه. وهو عنصر إدانة لها.

إن التوسع المضطرد والعشوائي للمحتشدات جعل العملية تخرج برمتها عن السيطرة. ولم تستطيع الإدارة الاستعمارية التكفل بالسكان المهجرين بالرغم من الحلول «الترقيعية» التي قدمتها.

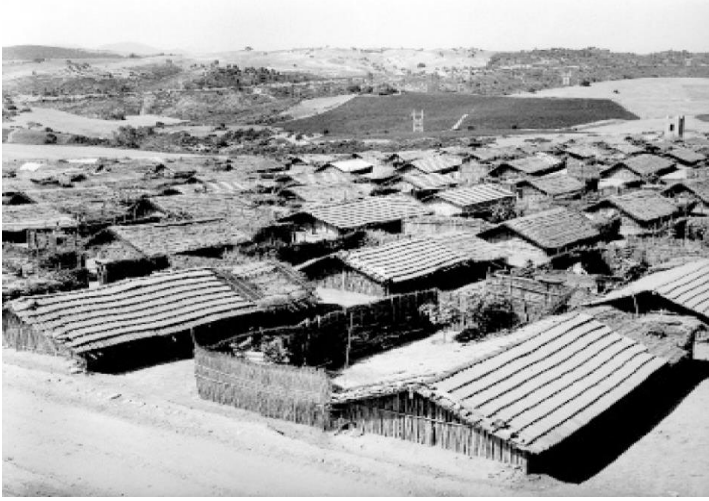
تعد منطقة الشلف من أكثر المناطق التي عرفت التهجير القسري لسكان الأرياف، نظرا لكثرة وشساعة المناطق المحرمة التي أُقيمت بها، والتي تعكس بدورها كثافة النشاط الثوري بالمنطقة.

ترتب على عمليات التهجير القسري وإقامة المحتشدات أثارا مدمرة على الريف الجزائري لا تزال قائمة.

كان لصحافة المتروبول وبعض المؤرخين الفرنسيين الفضل في كشف سياسة التهجير القسري لسكان الأرياف الجزائرية.

وتبقى المحتشدات وعمليات التهجير القسري لسكان الأرياف في الجزائر صفحة من صفحات التاريخ الأسود للاستعمار الفرنسي في الجزائر؛ تحتاج إلى مزيد من تسليط الضوء عليها من قبل الباحثين الجزائريين وغيرهم من المؤرخين والقانونيين لغرض كشف الحقيقة ومن ثم المحاسبة ورد الاعتبار والحقوق.

الملاحق:



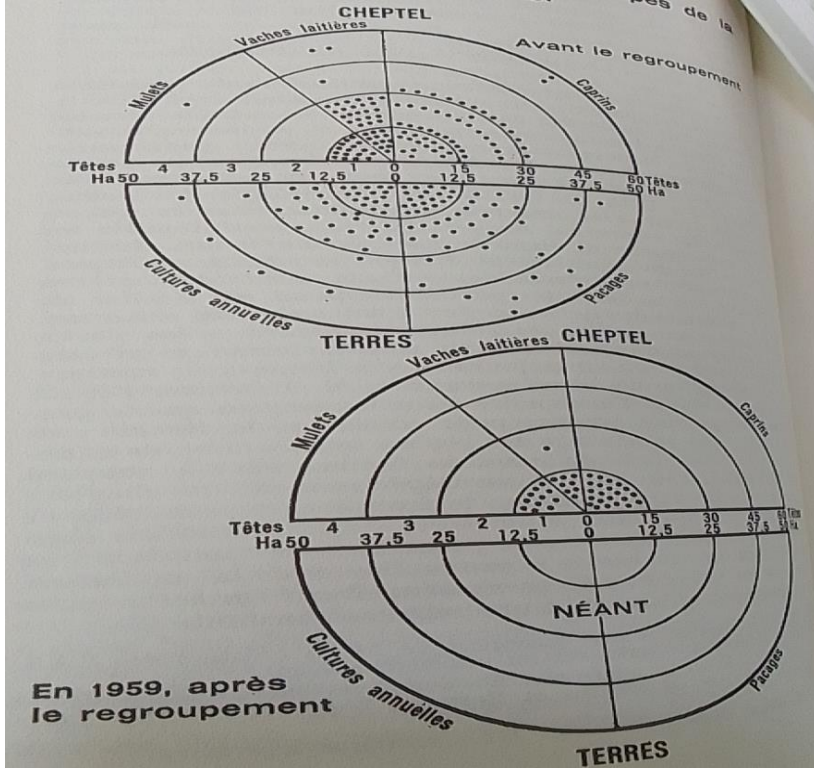
الملحق رقم 1: نموذج من المحتشدات التي أقيمت بمنطقة الشلف¹.



الملحق رقم 2: أطلال نموذج للمساكن التي بنتها السلطات الاستعمارية في ريف منطقة الشلف لمنكوبي زلزال 1954².

1- <https://orientxxi.info/magazine/les-camps-de-regroupement-entreprise-de-destructuration-du-monde-rural-algerien>, 5462

2- الصورة التقطت من قبل الباحث في منطقة الشرايرية جنوبي الشلف بتاريخ: 7 سبتمبر 2022.



الملحق رقم 3: مخطط تطور ملكية القطيع والأراضي في محتشد مزرعة «ميشال»¹

¹ - Cornaton, M., Les camps de regroupement de la guerre d'Algérie, L'Harmattan, Paris, 1998, p 92.

قائمة المراجع:

1. المراجع باللغة العربية:

- بوتشيشة عبد القادر، تطور الاستيطان الزراعي في منطقة الشلف أواخر الفترة الاستعمارية (1950-1960) وأثره على الجزائريين، مجلة عصور الجديدة، المجلد 9، العدد 2، سبتمبر، 2019.
- بوتشيشة هي (والد الباحث)، الحياة داخل المحتشدات، مقابلة أجراها الباحث (عبد القادر بوتشيشة) مع شاهد عيان، بتاريخ: 7 فيفري 2022.
- عبدون معمر، الحياة داخل المحتشدات، مقابلة أجراها الباحث (عبد القادر بوتشيشة) مع شاهد عيان، بتاريخ: 15 أكتوبر 2022.
- روبرتا كوهين. الدروس المستفادة من بناء المبادئ التوجيهية للنزوح الداخلي. تم الاسترداد من نشرة الهجرة القسرية: بتاريخ: 27 أكتوبر 2022، <https://www.fmreview.org/ar/crisis/cohen> تاريخ المعاينة: 13 مارس 2023.

2. المراجع باللغة الأجنبية:

- Bataillon Claude. (2020, Juin 27). « Populations rurales algériennes : encadrement socio-administratif et émigration ». Récupéré sur open edition journals: <https://journals.openedition.org/cybergeo/25580?lang=en>
- Branche Raphaëlle, R. L. (2022, novembre 5). En guerre(s) pour l'Algérie. Récupéré sur ina: <https://entretiens.ina.fr/guerres-algerie/Zineb-Boudjelal/zineb-boudjelal/transcription/3>
- Cornaton, M. (1998). Lescamps de regroupement de la guerre d'Algérie. Paris :L'Harmattan.
- ENS de Lyon. (2006, 21 juin). (2006, juin 21). 60 – Bilan sur Les camps de regroupement de la guerre de 1954-1962. Récupéré sur Canal-u.tv : <https://www.canal-u.tv/chaines/ens-de-lyon/pour-une-histoire-critique-et-citoyenne-le-cas-de-l-histoire-franco-61>
- Jauffret Jean-Charles, M. V. (2001). Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie. Paris: Editions complexe.
- Lepoutre, N. (2022, avril 22). Les camps de regroupement en Algérie Une histoire des déplacements forcés (1954-1962). Récupéré sur journals.open edition : <https://journals.openedition.org/lectures/54824?lang=en>
- Malbos, J. (1955). Le séisme d'Orléansville. L'Astronomie, Vol. 69, p.66.
- Marcel., L. (1962, Novembre). Une expérience de déplacement de population : les centres de regroupement en Algérie. Annales de Géographie, pp. pp. 567-603.
- Munuma, J. M. (2001). Le déplacement forcé de population comme nouvelle dimension de sécurité: Rôle et responsabilités de l'OTAN. Bruxelles : OTAN.
- Sacriste Fabien. (2012, février 15). Surveiller et moderniser. Les camps de « regroupement » de ruraux pendant la guerre d'indépendance algérienne. Récupéré sur Métropolitiques: <http://www.metropolitiques.eu/Surveiller-et-moderniser-Les-camps.html>.
- Sacriste, F. (2012). Genèse et développement d'une politique de regroupements Le cas de la région de Constantine (1954-1962) :
الناصرة للدراسات الاجتماعية والتاريخية، المجلد 3، العدد 1، 2012، صص 5-26.
- Sacriste, F. (2022, mars 25). Les camps de regroupement, entreprise de déstructuration du monde rural algérien. Récupéré sur orientxxi: <https://orientxxi.info/magazine/article5749>
- Vaïsse Maurice, J.-C. J. (2001). Militaires et guérilla dans la guerre d'Algérie. Paris: Éditions complexe.
- Zytnicki, C. (2021, juin 28). Les Camps de « regroupement ». Une histoire de l'État colonial et de la société rurale pendant la guerre d'indépendance algérienne (1954-1962). Récupéré sur cairn.info: <https://www.cairn.info/revue-outre-mers-2015-1-page-257.htm?contenu=article>